

الفصل الثاني عشر

رحلة صيد في البحر الاحمر



obeykandi.com

كتب لنا الدكتور محمد البابل من كبار هواة صيد  
الأسماك هذا الوصف عن رحلة صيد في البحر  
الأحمر .

قرأنا الكثير في مجلات الصيد ، ورأينا في ( السينما ) ، وسمعنا  
من الهواة عن الصيد في أمريكا وخليج المكسيك وكثرته ، ولكن لا أظن  
أنه يوجد في أية بقعة من بقاع البحار مثل البحر الأحمر وكمية الأسماك  
الكبيرة والصغيرة وتعدد أنواعها فيه واختلاف ألوانها وأشكالها .

بل انى أعتبر هذا البحر البكر جنة الصيد وموحي أحلامه .  
ولا أبالغ لو نصحت بعدم الذهاب للصيد هناك ، فسوف لا يرتاح الهاوى  
الى غير هذا البحر ، ولن يتخذ له بديلا . وربما زهد الصيد بعد الرحلة  
التي سأذكرها هنا :

« جمعتنا نحن الثلاثة ظروف غريبة كأنها خواطر وأفكار ، فكان  
حديثنا واحدا ، ورغباتنا واحدة ، واقتراحاتنا واحدة ، وقرارنا  
واحدا .

كنا نشكو كثرة العمل والمسئولية ، وكنا ننشد الراحة بعيدا عن  
المدينة والمدنية ، وقررنا أن نختلئ بانفسنا على جزيرة فى وسط البحر  
ليس فيها ما يقلق راحتنا ويعكر صفونا ولو لبضعة أيام .

ولا أطيل الشرح . فقد قررنا أن نكون ضيوفا ( ولو بالعافية )  
على فنارة جزيرة شدوان وموظفيها ، حيث نجد فيها تحقيقا لرغباتنا  
فلا تليفون ولا راديو ولا صحف ولا انسان غيرنا ، ولا يمكن الاتصال  
بخارج الجزيرة بأى حال الا عند مرور طوافة الموانى والمنائر لتغذية  
الجزيرة بالماء العذب والمأكولات الطازجة .

أما كيف وصلنا الى هذه الجزيرة ، فهذه رحلة تحتاج الى شرح  
طويل ولكن فى كلمتين وصلنا بعد رحلة ممتعة طريفة ، طريفة فى نوعها ،

خصوصا لمن تعود سفر البحر ، فلم تكن مثل رحلات أوروبا اذ كان كل من فيها من مصريين موظفين ومسافرين ولم نسمع كلمة أو لغة أجنبية .

ووصلنا جزيرة شدوان عند شروق الشمس ، وانتقلنا من الباخرة يفلوكة صغيرة ، ثم صعدنا درجا عاليا ، حتى وصلنا الى فناء بناء المنارة الضخمة ، الذى كان يبدو لنا من دقائق صغيرا وكأنه لعبة أطفال وضعت على رهوة .

كان استقبالنا رائعا حقا ، والاستعداد له تام ، وبعد فترة قصيرة غادرتنا الطوافة فى هذه الجزيرة القاحلة التى لا ولن ينبت فيها نبات . مساحتها نحو عشرين ميلا مربعا ، وليس بها من مخلوقات الله سوى حضرات موظفى المنارة ، وهم ثلاثة يسكنون فى البناء الوحيد بالجزيرة وهى مبنى المنارة .

كان عبد الحليم أفندى كبير هؤلاء الموظفين الثلاثة قد سمع عن فكرتنا وعن مجيئنا وكنا من جانبنا قد اخترنا الوقت الذى يكون هو فيه موجودا بالمنارة لأنه من أعلم الناس بالبحر الأحمر ، وأكثرهم دراية بالصيد فيه ، بل انه ليعتبر حجة فى هذا الفن .

بدأنا عبد الحليم بقوله : « حيث انكم قد جئتم من أجل الصيد ، وليس عندنا ما يشغلنا فهلما بنا الى الصيد » .

ثم عاين ما أحضرناه من الأدوات وقد كان كثيرا وقيما « من خيوط ( وماكينات « وبوص » ثم ابتسم وقال : « كل هذه الأدوات ليس لها أية قيمة عملية هنا . هى تنفع لو كان الصيد فى فلوكة . ولكن العمق أمامنا مائتان وخمسون قامة ( حوالى خمسمائة متر ) والصيد فى فلوكة غير مستطاع لأنه يوجد هنا سمك كبير وكبير جدا ، والتيار شديد حول الجزيرة وبدلا من أن يشد الصياد سمكة قد تشد السمكة الصياد . . »

فأسقط فى يدنا ، ولكنه ما رأى حيرتنا حتى استأنف حديثه قائلا : « لكن الصيد ميسور وبطريقة بسيطة سأطلعكم عليها . ويمكن صيد جميع أنواع السمك . . »

ولا بد لي هنا أن أقف لأصف الجزء من الجزيرة الذى سنصطاد منه ، فهذه الجزيرة بركانية ليس لها شواطئ ، بل هى قطعة من الصخر بارزة على سطح الماء ، يحف بها حاجز من الصخور المرجانية بشكل رف

ينخفض عن سطح الماء بمقدار متر ، يمتد نحو ٢٠ مترا من الجزيرة  
وقد أقامت مصلحة الموانئ والمناظر فوق هذا الحاجز أمام مبنى المنارة  
سقالة ارتفاعها متران فوق سطح الماء تبدأ في أول الجرف وتنتهي عند  
آخر الجرف المرجاني . وإذا وقف الانسان على هذه السقالة يرى الماء  
رائقا صافيا لدرجة أن البصر يستطيع أن يخترق الماء الى ١٠ أمتار  
على الأقل .

ولو وقع دهبوس صغير فوق الحاجز المرجاني لأمكن رؤيته  
بسهولة .

لذلك يمكن للانسان أن يجلس على هذه السقالة ويمتع نفسه  
بالنظر الى مخلوقات البحار ، مما لم تره عين ، أشكالا وأحجاما والوانا .  
والآن وقد وصفت موضع الصيد وهو السقالة وصفا اجماليا ،  
فلنرجع الى حديث الصيد نفسه .

يحتاج الصيد طبعا الى طعم ولم يكن عندنا منه شيء لأن  
ما أحضرناه معنا من السويش فسب في الطريق . وكدنا نياس ، ولكن  
عبد الخليم هون غلينا الأمر وهبط الى الجرف ومعه عصا في طرفها  
مسمار مدبب ، وحمل على ظهره شوالا واذا به يعود الينا وقد أحضر  
كمية وافرة من سرطان البحر ( أبو جلمبو ) فأخذ يقطع أوصالها ويخرج  
عضلاتها ومن هذه العضلات يتخذ طعاما ليصطاد سمكا صغيرا . ليستعمل  
هذا السمك الصغير بدوره طعاما لصيد الأسماك الكبيرة .

وفعلا انتظر حتى مر نوع من السمك الصغير ذي لون أزرق زاه  
كأنه يقع الخبر على بساط أبيض ، وأخرج واحدة من هذه الأسماك ،  
ثم وضعها في سنارة كبيرة وقذفها الى الماء بما يسمى بالحداف قائلا  
« أنظروا ماذا سيبرز للقاء هذا الطعم المغري » .

وفعلا كان هذا الطعم كأنه السحر ، وما كاد يصل الى المياه العميقة  
حتى برز له قطع من الأسماك الكبيرة من الصنف المسمى بالبياض  
لا يقل وزن الواحدة منه عن عشر أقات . وعلقت واحدة بالسنارة الكبيرة  
اذ التهمت الطعم في نهم ، فأخرجها عبد الخليم من الماء دون جهد  
أو اجهاد .

وقال عبد الخليم هذا هو الصيد هنا . بالحداف . وبهذه  
الطريقة يمكن الصيد طيلة اليوم ، ولا تفلت سمكة واحدة ، اللهم الا اذا

هلقت بالسنارة سمكة كبيرة جدا كما يحصل في بعض الأحيان ، وفي هذه الحالة تتمكن من قطع الخيط وتهرب ..

وقد اتبعنا هذه الطريقة واصطدنا الشيء الكثير بأسرع وقت وبأسهل الطرق .

وبهذه الطريقة ، وباختلاف فقط في نوع الخيط وتخاتته حصلنا على اسماك هائلة الحجم . ومنها ما يسمى بالوحش أو القرش . وقد أخرجناه من الماء بعد ضربه بالرصاص وهو عالق بالسنارة لكبر حجمه ( وكان وزنه مائتي أقة ) . وقد فتحنا بطن احدي هذه الأسماك فوجدنا بها خمسة أجنة كل منها في كيس ، وكل له حبل سري كأنه طفل صغير .

ولو أردنا صيد مائة من هذه الوحوش يوميا لكان من أسهل الأمور . وما على الانسان الا أن يلقى طعاما به دم وسوف لا ينتظر أكثر من بضع دقائق ويراه قادما منجذبا نحو الدم ، ولما كان الماء رائقا صافيا فانك تراه بعينيك وهو يأكل الطعم . وقد ثبت لنا أن الوحش لا ينقلب على ظهره ليلتهم شيئا كما هو شائع لدى الناس .

وقد أخرجنا الوحش الكبير الذي اصطدناه بطريق الشد العنيف فبنا به ستة من الأشخاص مثل فرقة شد الحبل : حتى كلت أيدينا من الشد ، خصوصا وقد استعملنا في صيده جبلا من نوع جبل المانيلا سمك يوصفتين ، وسنارة مسلسلة من الصلب طولها متر صنعت خصيصا لصيده وقد استعملنا طعاما له قطعة من ثعبان البحر قطره عشرون سنتيمترا .

ومضت الأيام الأربعة المحددة لاقامتنا بالجزيرة وعادت الطوافة لتأخذنا الى السويس وكان هذه الرحلة لم تستغرق سوى لحظات . لما استمتعنا به وتنزهنا ، ولم نشعر أننا مللنا الوحدة أو تشوقنا لمعرفة أخبار العالم . ولاتزال اللحظات السعيدة التي قضيناها هناك مرسومة في مخيلتي ، يحن اليها القلب كلما فكر في اجازة ، واستعرض وسائل قضائها حيث يتمتع بجودة الهواء ولذة الصيد وأي صيد ..